الفصل الثانى

المرأة فى المنظور الاسلامى

تقديم الاسلام دين الفطرة

الاسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وهو الدين الذى دعى اليه المرسلون جميعا من أول سيدنا آدم عليه السلام وحتى خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فالدين واحد وان اختلفت الأحكام فى الشرائع المنزلة (١) والقرآن الكريم كتاب الله تعالى الذى لم ولن يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو معجزة الاسلام ومنهجه ، تكفل الله بحفظه ، وبين لنا فيه ما يريده منا ، وما يجب أن نؤمن به وندين •

والقرآن الكريم قد حدثنا بأن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من

---

(١) بين القرآن الكريم فى مواضع عدة أن الانبياء جميعا دانت دعوتهم الى الاسلام الحنيف جاء ذلك على لسان ابراهيم واسماعيل ويعقوب وغيرهم فقد أوردت سورة البقرة دعاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان القواعد من البيت : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ... » « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ... اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنية ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ... » « قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » الآيات ١٢٧ ــ ١٣٦ من سورة البقرة •

obeikandl.com

تراب فقال تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » (١) .

كما حدثنا القرآن الكريم عن خلقه أم البشرية السيدة حواء . فذكر القرآن الكريم أن الله تعالى خلقها من آدم عليهما السلام : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاكثيرا ونساء ... »(٢) .

وجاءت روايات كثيرة تبين هذه الآية الكريمة ، فذكر ابن مسعود وابن عباس ــ رضى الله تعالى عنهما ــ بيان هذه الآية فجاء عنهما : « لما أسكن آدم الجنة مشى فيها متوحشا ، فلما نام خلقت حواء من ضلعه القصرى ، من شقه الأيسر ، ليسكن اليها ، ويأنس بها ، فلما انتبه رآها فقال من أنت ؟ قالت : « امرأة خلقت من ضلعك لتسكن الى »(٣) .

---

(١) الآية ٥٩ من سورة آل عمران ، وهذا من دلائل قدرة الله تعالى، فقد بين لنا أنه سبحانه وتعالى خلق آدم لامن ذكر ولا من أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى .

(٢) الآية الأولى من سورة النساء .

(٣) تفسير القرطبى جـ ١ ص٣٠١ ويذكر القرطبى أن حواء زوج آدم عليه السلام ، وآدم أول من سماها بذلك حين خلقت من ضلعه ، من غير أن يحس بذلك ، ولو ألم بذلك لم يعطف رجل على امرأة ــ فلما انتبه قيل له : من هذه ؟ قال : امرأة ، قيل وما اسمها ؟ قال حواء قيل: ولم سميت امرأة ؟ قال : لانها من المرء أخذت ، قيل ولم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من حى ، ولا يخفى على أحد ما ذكره القرآن الكريم من أن الله تعالى علم آدم الاسماء كلها .

كما يروى أبو هريرة ــ رضى الله تعالى عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « ان المرأة خلقت من ضلع أعوج ــ وفى رواية ابن عباس ــ وان أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، لن تستقيم لك على طريقة واحدة ، وان استمتعت بها استمتعت بها على عوج ، وان ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها » (١) •

من هذا وغيره بين منطق الاسلام وحديثه عن بداية خلقة المرأة ، وأنها خلقت من آدم من نفسه كما عبر القرآن الكريم ، ولم تخلق نتيجة تطور حيوان مهما كانت درجته ونوعه ، ولا من تطور نوع من أنواع البكتريا أو غيرها ••

خلقها الله تعالى من نفس آدم وجسده • فهى شقه وبعضه ومن هنا كانت حاجته اليها وحاجتها اليه أمر فطرى طلبا للاكتمال الآدمى ، ولا يكون ذلك الاكتمال الا اذا تم بالصورة التى حددها الاسلام وطبقا لما أمرت تعاليمه ••

وهكذا بدأت مسيرتهما وخطا خطواتهما معا ، وخوطب آدم من قبل ربه سبحانه وتعالى أن يسكن الجنة وزوجته معه ، فهما مخلوقان والسكن بالنسبة لهم أمر ضرورى •• ولقد كرمهما الله تعالى وأسكنهما جنته لينعما فيها ••• ولقد كانت الجنة مطلب الملائكة ••• ولكن الله تعالى قدم آدم على الملائكة ، فأسكنه وزوجه الجنة •

---

(١) رواه الامام مسلم وغيره وذكر ابن كثير أن حواء عليها السلام خلقت من ضلع آدم الايسر ، وفى رواية الأقصر ، من خلفه وهو نائم فاستيقظ فرآها فاعجبته فأنس اليها وأنست اليه ••• ويروى عن ابن عباس قوله : خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها فى الرجل ، وخلق الرجل من الأرض فجعلت نهمته فى الأرض ، فاحبوا نساءكم » تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٤٩ •

روى الدارمى عن عبد الله بن عمرو ــ رضى الله تعالى عنهما ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « لما خلق الله الجنة قالت الملائكة : يا ربنا اجعل لنا هذه نأكل منها ونشرب ، فانك قد خلقت الدنيا لبنى آدم : فقال الله تعالى : لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان » .

ويصدر الأمر لآدم من ربه سبحانه وتعالى ويخبرنا القرآن الكريم بمقالة الله لآدم . « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها غدا حيث شئتما .... »(١) .

وفى آية أخرى : « و يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ....»(٢) .

وبين الله تعالى ما أعد لآدم فى الجنة من نعيم وارف ورى دائم ، ومكانة يحسد عليها . ولم تكن يوم ذاك لأحد من الخلق المكلفين لآدم سواء من خلق من نور أو من خلق من نار ..

ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى(٣)

وهكذا بدأ آدم يخطو خطواته فى الجنة ينعم بما فيها وتؤنسه زوجه التى هى جزء منه ... وشق من نفسه ، وروح من روحه التى هى نفحة من الله تعالى ... لباس له وسكن الى فؤاده ، يأوى اليها بما فى

---

(١) الآية ٣٥ من سورة البقرة .

(٢) الآية ١٩ من سورة الاعراف .

(٣) الآيتان ١١٨ ــ ١١٩ من سورة طه .

مكنون نفسه التى هى ذاتها جزء منها ... انها منه ، وله ، وبه تنعم ومن أجل اعمار الكون تساكنه ، على ما جعل الله تعالى بينهما من مودة ورحمة ...

وكانت عمارة الأرض على يد آدم وشقه حواء ، وما رزقهما الله تعالى من بنين وحفدة .. وعاش آدم وحواء فى كل زمن فى تواؤم دائم كل منهما يعرف الآخر حقه ومنزلته ...

عاشت حواء فى كنف آدم وتحت رعايته وبجانبه وان كان الله تعالى قد كتب عليه هو السعى لاعاشتها ، والشقاء لاسعادها .

هذا أمر فهم من عبارة القرآن الكريم ، وما يفهم من عبارة النص يقدم على ما يفهم من اشارته أو دلالته أو فحواه أو اقتضائه حتى ولو كان هناك تعارض ، ولا تعارض هنا ، فالدلالات جميعها مجتمعة ومتفقة(١) .

فقد قال الله تعالى لآدم عليه السلام — كما يخبرنا القرآن الكريم « فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى »(٢) .

---

(١) يقصد بعبارة النص صيغته ، كلماته التى يتكون منها ، ومفهوم العبارة هو المفهوم الذى يتبادر الى ذهن القارىء أو السامع ، وهو المفهوم المقصود من ايراد النص وسياقه .. وهو أقوى دلالات النص والمقدم عليها جميعها عند التعارض ، ولا تعارض هنا . فالدلالات مجتمعة يراجع ،أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف ص١٤٣ ومابعدها

(٢) الآية ١١٧ من سورة طه : والذى يمعن النظر فى الآية الكريمة يجد أن الله تعالى لما ذكر الاخراج ذكره مضافا الى ألف الاثنين أى آدم

وتمضى مسيرة آدم وحواء على مر العصور فى توافق وتجاذب ، يعايش كل منهما الآخر فاذا ما حدث تصدع فى علاقتهما عالجته السماء بحكمتها حتى يلتئم الصدع ويندمل الجرح ، ويعود الركب فى مساره الذي أراده الله تعالي له ، ويصلح الله من أمر آدم وحواء ويظلهم الله

وحواء ، ولما ذكر تعالى الشقاء ذكره مخاطبا به آدم وحده ولم يضفه إلى ضمير الاثنين ٠

وفى ذلك مايدل على أن آدم هو المكلف بالبحث عن الاعاشة وتأمين سبل كسب القوت ٠٠٠

كما أن فيه أيضا دلالة على أن شقاء حواء هو شقاء آدم ولا ريب اذ هى جزء والجسم اذا اشتكى منه « جزء » تداعى له سائر الجسم بالسهر والحمى ٠

كما يبين لى أيضا أنه لا يحتمل العكس ، أى ان شقاء آدم لايترتب عليه حسب ظاهر النص وما تحدثنا به الأيام لايترتب عليه شقاء حواء ٠٠٠ فقد لاتشعر به أو قد تشغل عنه ٠٠٠ وأرجو أن تكون قد هنا للتقليل ٠

كما أن الآيات التى تلى هذه الآية الكريمة « ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ٠ وأنك لاتظمؤ فيها ولا تضحى » ١١٨ ــ ١١٩ من سورة طه ٠

يتبادر الى فهمى منها ــ والله اعلم ــ أن آدم عليه السلام كان يقدم حواء على نفسه فلا يشبع حتى تشبع هى أولا ولا يشرب حتى تروى قبله وهكذا ٠٠٠ ولو كان الأمر على خلاف ذلك وكان من طبع آدم حبه لنفسه وتقديمه لها على جزئه أى على حواء لذكر القرآن الكريم هنا نفى الجوع والعرى والظمأ الى آخره مع الف الاثنين ٠٠ ولكن الافراد هنا يحمل بين طياته ماكان عليه آدم من رعاية لحواء ، ومن اهتمام الكل بالجزء وحنوه عليه ٠٠٠

برحمته ويدعوهم الى الانضـــواء تحت ظله وســـلطانه ، متعـــاونين متحابين ٠٠٠٠

ومن هنا أمر الله تعالى نوحا عليه السلام حين أرسله لاصـــلاح مسار الفكر الانسانى ، أن يحمل فى سفينته من كل زوجين اثنين(٦) ٠٠٠ وكان نصيب الانسان من هذه المزاوجة واضح كل الوضوح ، فشقت سفينة نوح ـــم الزمن وغالبت موج الأيام وقويت على تجـــاوز الطوفان ، وعادت من جديد لترسو على ظهر الأرض وينزل منها معـــا آدم وحواء عصرهما ٠٠٠ متصاحبين دائما تحت مظلة السماء ، وطبقا لتعاليمه ٠ أما من أعرض عن أن يستظل بظل السماء ويتبع تعاليمها فهو مكتوب عليه الاهلاك أيا كان ومهما بلغت علاقته بآدم ٠٠٠

ومن هنا يحدثنا القرآن الكريم أن حواء حين تعـــاند ولا تساند ، وحين تخرج عن طاعة من أمرت بطاعته ، ولا تنصاع لأوامر خالقها فان الله تعالى محدث لها أمرا ، ومنزل بها عقابا ومن هنا كان مانزل بأمرأة نوح ـــ عليه السلام ـــ وما نزل بامرأة لوط ـــ عليه السلام ـــ فقد أخبرنا القرآن الكريم بما كان منهما من عناد لأوامر الله تعالى ، وعصيان للزوج والمصير معروف حدثنا عنه أصدق المحدثين ، وأخبرنا به القرآن الكريم فقال تعالى : « وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط

---

(١) يقول الله تعالى : « حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ٠٠٠ » الآية ٤٠ من سورة هود .

كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين »(١) .

وفى الجانب المقابل يحدثنا القرآن الكريم عن امرأة فرعون ، ومعروف أن زوجها علا فى الأرض ، وجعل أهلها شيعا « ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم انه كان من المفسدين »(٢) وامرأة فرعون أراد الله لها الخير والهداية فلم توافق فرعون على ما كان يصنعه بالناس ، ولجأت الى ربها ورضيت ما عند الله وقدمته على ما كان لزوجها من ملك

---

(١) الآية ١٠ من سورة التحريم ، والمراد بالخيانة المنسوبة الى امرأة سيدنا نوح وامرأة سيدنا لوط ، عدم الموافقة فى الايمان وعدم تصديق كل منهما رسالة زوجها ، وهى التى تؤاكله وتعاشره ليل نهار ومع ذلك لم تؤمن كل منهما برسالة زوجها ...

وليس المراد بالخيانة هنا أنهما وقعتا فى فاحشة . اذ أن نساء الانبياء معصومات من أن يقعن فى فاحشة لحرمة الانبياء .

وروى عن ابن عباس ، قوله : مازنتا ، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه :

وروى عنه أيضا قوله : كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما ، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح ، فاذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط ، فكانت اذا أضاف لوط أحدا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل بالسوء .

يراجع تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٤٦ ، جـ ٤ ص ٣٩٤ .

(٢) الآية ٤ من سورة القصص .

وســـلطان ... فأثابها الله تعالى « وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين »(١) .

والقرآن الكريم بما حدثنا به عن امرأة نوح وامرأة لوط ، وبمـــا أخبرنا به عما كان من امرأة فرعون يوقفنا على المقياس الصحيح الذى نقاس به أعمال الناس ، ويحكم فيما تستحق المرأة من جزاء ومعاملة دون أى نظر لحســـب أو نسب ، أو جنس أو قبيـــلة أو غير ذلك من المقاييس التى مرت بنا عند الحديث عن المرأة عند الوضعيين ومقاييسهم تلكم المقاييس المائلة المختلة التى وضعوها وقاسوا بها واحتكموا اليها ومن هنا طاش حكمهم ، واختلت موازينهم ، وجانبهم الصواب .

لقد وضع الاسلام الموازين القسط ، وبين للرجل والمرأة أنهما خلقا من نفس واحدة ، وأن الله تعالى خلقهما لغاية .. « ومـــا خلقت الجن والانس الا ليعبدون » وأنزل لهما دستورا يظل حياتهما من كل مـــا

---

(١) الآية ١١ من سورة التحريم ، وامـرأة فرعون هى السـيدة آسيه بنت مزاحم ـ رضى الله تعالى عنها ـ وسأل فرعون قـومه يوما ـ بعد أن علم بايمان زوجته ـ فقال للملأ .. ما تعلمـون من آســيه بنت مزاحم ؟ فاثنوا عليها . فقال لهم انها تعبد غيرى ، فقالوا أقتلها . فأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها .

وروى عن ابن جرير أنها كانت تعذب فى الشمس ، فاذا انصرف عنها من يعذبها أظلتها الملائكة باجنحتها ، وكانت تقول : « رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة » اختارت الجار قبل الدار ...

يراجع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٩٤ وما بعدها .

قد يعصف بها ، فاذا احتمينا بظل الله تعالى وسارا حسب دستوره استقامت حياتهما ، ونعما فى الدنيا والآخرة ، وان كانت الأخرى .... حاق بهم ما كانوا به يستهزئون ...

وفيما يلى أورد جانبا مما جعله الله للمرأة من حقوق وما ألزمها به من واجبات مستهدفا فى الحالين دعوتها الى ما فيه صلاحها ، واضعا اياها فى الموضع اللائق بها من حيث التكريم والرفعة فهى شق آدم وأم البشرية .